الى تصريف كل في افعاله الصادرة به بحسب القدر الجاري عليه المستند الى سابق العلم بحسب خلق تلك الدواعي والصوارف
فيه المشار اليه بقوله صلى الله عليه وسلم قلوب الخلق بين اصبعين من اصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء فتصرفه تعالى في
خلقه اما ظاهر بخرق العادات كالمعجزة او نصب الادلة كالاحكام التكليفية واما باطن بتقدير الاسباب نحو لو
تواعدتم لاختلفتم في الميعاد او بخلق الدواعي والصوارف نحو كذلك زينا لكل امة عملهم ونقلب افئدتهم ثم انصرفوا
صرف الله قلوبهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك او طاعتك ونحو. سبقية الاعمال للسعادة والشقاوة الدال سببية نسخة
عليها الحديث انه تعالى خلق الخلق وركب فيهم طباع الخير والشر فعلم ما يكون منهم بحسب مقتضى طباعهم المركوزة فيهم فلو
اسعدهم واشقاهم اعتمادا على سابق علمه وحكمته لكان في ذلك مأمونا غيرهم لكنه تعالى عادل في حكمه حكيم في عدله و
الحكمة تقتضي اجتناب مظان التهم ولو من سخفاء العقول فلو عذب بعضهم بموجب علمه فيهم لاتهموه بان كلفهم حتى ظهرت
معصيتهم عن طباعهم المركوزة فيهم من القوة الى الفعل وهذا هو سر قوله تعالى لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل
وقوله صلى الله عليه وسلم في اطفال المشركين الله اعلم بما كانوا عاملين لكن الاصح انهم في الجنة وانما اقتصر في الحديث على
قسمين مع ان الاقسام اربعة لظهور حكم القسمين الاخيرين من عمل بعمل اهل الجنة اولا ثم اول عمره الى اخره وقد
اختلف اهل التحقيق فمنهم من راعى حكم السابقة وجعلها نصب عينيه ومنهم من نظر في حكم الخاتمة والاول اولى لانه
تعالى سبق في علمه الازلي سعادة العالم وشقاوته ثم رتب على هذا السبق الخاتمة عند الموت بحسب صلاح العمل عندها وفساده وعلى
الخاتمة سعادة الاخرة وشقاوتها والمبني على المبني على الشيء تحقيقه. السعادة والشقاوة مبنية على سابقة العلم بها
فهي اذن اولى من الخوف منها والمراعاة لها قال ابو المظفر السمعاني وسبيل باب القدر التوقيف الى المستفاد من الاحاديث والآيات
السابقة التوقيف من الكتاب والسنة فمن عدل عنهما القياس او عقل ضل وتاه ولم يصل الى ما يطمئن اليه قلبه لان القدر
سر من اسرار الله تعالى ضربت دونه استار اختص الله تعالى بها وحجبها عن عقول خلقه حتى الانبياء والمرسلين والملائكة
المقربين صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين قيل ولا ينكشف الا بعد دخول الجنة وافاد الحديث ان التوبة تهدم
ما قبلها من الذنوب وان من مات على خير او شر اديرت عليه احكامه نعم الميت فاسقا تحت المشيئة خلافا للمعتزلة وان
عمل من سبق في علم الله تعالى موته على الكفر يكون صحيحا مقربا للجنة حتى ما يبقى بينه وبينها الا ذراع وان عمل من سبق
في العلم موته على الاسلام يكون باطلا مقربا من النار حتى ما يبقى بينهما ذراع لكن لا مطلقا في هذا بين بل باعتبار
ما يظهر لنا كما دل عليه خبر مسلم ان الرجل ليعمل بعمل اهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من اهل النار واما باعتبارها
في نفس الامر فالاول لم يصح له عمل قط فلم يقرب من الجنة شيئا مطلقا لانه كافر في الباطن واما الثاني فعمله الذي
لا يصلح لنية صحيح والذي يحتاج اليه بالاسلام حيث عدم وجودها هذا فيما صورته صورة خير واما ما عداه فلا
يؤثر فيه الكفر لخبر مسلم انه عم قال لابن حزام حين اسلم اسلمت على ما اسلفت من خير وان العبرة انما هي بسابق

القضا اذ لا

القضا اذ لا تغيير فيه ولا تبديل ويوافق حديث الشقي شقي في بطن امه اي يظهر من حال الملائكة ولمن شاء الله تعالى من
خلقه ما سبق في علم الله تعالى الازلي وقضائه الالهي الذي لا يقبل تغييرا ولا تبديلا من سعادته او شقاوته ومن رزقه واجله وعمله
الا ترى الملائكة كيف تستخرج ما عند الله تعالى من علم حال النطفة وتقول يا رب ما الرزق ما الاجل قال فيقضي ربك ما شاء
اي يظهر من قضائه تعالى وحكمه للملائكة ما سبق به علمه ونطقت به ارادته ويكتب الملك من اللوح المحفوظ كما مر ثم يخرج
بالصحيفة اي من حال الغيبة عن هذا العلم الى حال المشاهدة فيطلع الله تعالى عليها من شاء من الملائكة الموكلين باحوال
ليقوموا بما عليهم حسب ما سطر في صحيفته ولا ينافي ذلك كله خبر انما الاعمال بالخواتيم لان ربطها بها انما هو لكون السابقة
مستورة عنا والخاتمة ظاهرة لنا فكانت الاعمال بها بالنسبة الى ما عندنا واطلاعنا في بعض الاشخاص في الاحوال وانه
ينبغي ترك الاعجاب بالعمل والالتفات والركون اليه وان يعول على كرم الله وجهه ورحمته والاعتراف بمنته كما قال
صلى الله عليه وسلم لن ينجي احدا منكم عمله الحديث لكن ثبتت الاحاديث بالنهي عن ترك العمل والاتكال على ما سبق به القدر بل
ينبغي العمل كما قال صلى الله عليه وسلم اعملوا فكل ميسر لما خلق له وقال تعالى فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى
واما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى فينبغي التيقظ لهذا فانه منزلة قدم لمن لا علم عنده ولا يقين فان
الشيطان واعوانه من النفس وغيرها ربما اوحوا الى الانسان انه لا عبرة بالعمل وانما العبرة بالسابقة او الخاتمة على ما مر
فمن سعد ثم لا يضره اي شر اقترفه ومن شقي ثم لا ينفعه اي خير اكتسبه فيصغى اليهم لظهور حجتهم وزخرفتها ويترك الاعمال
الخير وينهمك في قبائح الشر وما درى المسكين ان هذا تمويه عليه واضلال له وغفلة عما وضعه الله تعالى من الاسباب الدالة على
مسبباتها بل والمستلزمة لها عادة واما انخراطها بموت من كانت اعماله صالحة على الكفر ففي غاية الندور والنادر لا تنخرم
به القواعد الكلية على ان غاية المنهمك في الشر اذا فرض موته على الاسلام النجاة من الخلود في النار على ما فيه من خلاف
لنحو المعتزلة واما حوزه لشيء من الكمالات فبعيد عنه فوجب عليه تحري الاعمال الصالحة وان يغلب الرجاء في الله تعالى و
فضله بامانته اياه على الاسلام لانه على هذا التقدير يكون من ملوك الجنة وساداتهم فان فرض والعياذ بالله تعالى
خلاف ذلك لم تضره تلك الاعمال شيئا بل ربما خففت عنه فان الكافر يعاقب على المعاصي مع الكفر فمن لا معاصي له انما
يعاقب على الكفر فقط فلا ضرر في الاعمال الصالحة بوجه بل ان الغالب بل المطرد نفعها وحوز الكمالات بسببها فاي
حجة في العدول عنها فظهر ان تلك الحجة التي اقامها ابليس انما هي كلمة حق اريد بها باطل فافهم ذلك وتدبره فانه
اهم ما يعتني به المكلف ويجب ان يجعله نصب عينيه والا ذل به القدم وندم حيث لا ينفعه الندم نسال الله تعالى دوام رضوانه و
وسوابغ امتنانه امين وفي الصحيحين انه صلى الله عليه وسلم قال ما من نفس منفوسة الا وقد كتب الله مكانها من الجنة او
النار فقال رجل يا رسول الله افلا نمكث على كتابنا وندع العمل فقال اعملوا فكل ميسر لما خلق له اما اهل السعادة فييسرون
لعمل اهل السعادة واما اهل الشقاوة فسييسرون لعمل اهل الشقاوة ثم قرا فاما من اعطى واتقى الايتين فيه ان الكتا

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)